مجلة الصورة والاتصال، المجلد07، العدد 02، ديسمبر2018، ص83 ص 98 ISSN:2253-0967 EISSN 2602-6309

الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي والمتغيرات الراهنة

أ.شريفة رزيوق*

*جامعة الجزائر3، أستاذة مساعدة، rezioukcherifa@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018/09/05 تاريخ القبول: 2019/01/16 تاريخ النشر: 2019/01/30

ملخص:

تملك وسائل الإعلامقدرة كبيرة على إقناع الرأي العام وتكوين معارفه وانطباعاته، وتشكيل الصور الذهنية والنمطية، ولعل أكثرها جدلا هي صورة الإسلام والمسلمين المتداولة في وسائل الإعلام الغربية التي دأبت على وصف المسلمين بالإرهاب والتعصب، ففي أمريكا تراجعت صورة الإسلام في أعين الأميركيين من صورة نمطية مرجعية صاغتها هوليود خلال القرن العشرين إلى صورة أكثر بشاعةينسجها الإعلام الأمريكي، وذلك مع تزايد أعمال العنف، وما تنتجه وسائل الإعلام خلال موسم حملة الانتخابات الرئاسية الأمريكية وما أنتجه الخطاب السياسي السلب لبعض مرشحيه.لذا نستعرض في مداخلتنا طبيعة الصورة النمطية المتداولة في الإعلام الأمريكي عن الإسلام والمسلمين، وأهم الأسباب التي أدت إلى تكون هذه الصورة لدى الأمريكيين وتنامي الخوف من المسلمين إلى مستوى أعلى مما كان عليه عقب هجمات سبتمبر 2001 .

الكلمات المفتاحية: *الصورة النمطية، الإسلام، المسلمين، الإعلام الأمريكي، الخطاب السياسي، الإسلاموفوبيا.*

Abstract:

The media have a great ability to convince public opinion and the constitution of their knowledge and impressions, and formation of mental and stereotype images, and perhaps the most controversial image is the image of Islam and Muslims in the Western media, the latter has been described Muslims as terrorism and intolerance, in America the image of Islam has troped in the eyes of the Americans from the stereotype drafted by Hollywood during the twentieth century to the current image of the most terrible compose by American media, with the increasing acts of violence, and what is produced by the media during the US presidential election campaigns and produced negative political speech for some candidates.

So we browse in this intervention the nature of the stereotype image in the American media about Islam and Muslims, and the most important reasons that led this image for the Americans and the growing fear of Muslims to a higher level than it was after the 11 September 2001 attacks, and the role of American politicalspeech during the last presidential election campaigns in embed this photo, and the Arab and Islamic efforts in correcting the image of Islam and Muslims.

***Key words**: stereotype, Islam and Muslims, the American media, politic*al speech, Islamophobia.

مقدمة:

تعتبر وسائل الإعلام من أهم وسائل نقل الأخبار والأفكار والقيم بين الشعوب والحضارات، إضافة إلى دورها في تكوين الرأي العام وتشكيله وفي تعبئة الجماعات حول الأفكار وأراء واتجاهات معينة في عالم تحول إلى قرية صغيرةتتنوع فيه اللغات وتتباين فيه القيم الحضارية والدينية، والذي يمثل فيهالإعلام الغربي أكثر من90% من حركة الإعلام المتدفق في أرجاء العالم، بحيث حمل معه أخطار على الهويات الدينية والعرقية لكثير من الشعوب في العالم عامة والعالم الإسلامي خاصة، فالمتتبع للإعلام الغربي وطرق صياغته وطرق إيصاله المضامين الإعلامية إلى الجمهور يرى العديد من التجاوزات في المصداقية وطرق نقل المعلومات، وكثرت الدلائل على المحاولات المتعمدة لإعادة صياغة الصور النمطية وتفسيرها وتشويهها بما يخدم أجندات معينة، ومن أبرزها الصور النمطية التي يعاد اليوم صياغتها صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، ونخص بالذكر الإعلام الأمريكي، بحيث يقول جاك شاهين:«أنه يتم الربط بشكل منتظم بين الإسلام وسيطرة الرجل على المرأة والجهاد وأعمال الإرهاب».

وهي الصورة التي أصبح عليها الإسلام والمسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 وما نتج عنها من تداعيات خطيرة عادت بالسلب على صورة الإسلام والمسلمين في المجتمع الغربي على نحو غير مسبوق في تاريخ العلاقة بين العالم الإسلامي والغربي،وعززت الحملاتالمعادية للإسلام في العديد من وسائلالإعلام الأمريكية من الشكوك في نفوس قطاع عريض من العرب والمسلمين بأن الحرب التي تتزعمها الولايات المتحدة وحلفاؤها في الغرب ضد ما يسمى الإرهاب» إنما تستهدف النيل من الإسلام عقيدة وحضارة و تسعى إلى إعادة ترتيب خريطة النظام الدولي الجديد وتحجيم موقع الدول الإسلامية فيها، ولذلك يحسن بنا أن ننظر إلى مسألة الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي بجدية تامة وأن لا نعتبرها قضية هامشية، نظرا لتأثيراتها السلبية على الرأي العام العالمي والمساس بدين الإسلام، ومن هنا تأتي أهمية تتبع الآثار التي تنتج عن تشويه الإعلام الأمريكي للصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين في العالم، وانطلاقا مما سبق تنبع أهمية إشكالية بحثنا والتي تتمثل في السؤال المحوري التالي: **ما هي دلالات الصورة النمطية التي يكونها الإعلام الأمريكي عن الإسلام والمسلمين؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية لابد من طرح التساؤلات التالي:

1. ما هي طبيعة الصورة النمطية المتداولة في الإعلام الأمريكي عن الإسلام والمسلمين؟
2. ما هي أهم الأسباب والأطراف التي أدت إلى تكوين هذه الصورة لدى الغرب وتنامي الخوف من المسلمين إلى مستوى أعلى مما كان عليه عقب هجمات سبتمبر 2001؟

3. ما هو دور الخطاب السياسي الأمريكي خلال حملة الانتخابات الرئاسية الأخيرة في ترسيخ هذه الصورة؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في معالجة قضية الصورة النمطية للإسلام والمسلمين فيالإعلام الأمريكي خصوصا في وقت تقوم فيه هذه الوسائل بحملات إعلامية شرسة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الرأي العام العالمي،بعد كل اعتداءات إرهابية والأصعب من هذا كله استغلال بعض مرشحي الانتخابات الأمريكية لصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين لتمرير خطابه السياسي وإنجاح حملته الانتخابية محاولة لتوسيع الهوة في العلاقات الغربية والإسلامية.كما تكمن أهمية البحث في محاولة التعرف على طبيعة هذه الصورة النمطية وخلفياتها.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى استعراضطبيعة الصورة النمطية المتداولة في الإعلام الأمريكي عن الإسلام والمسلمين، وأهم الأسباب التي أدت إلى تكونها لدى الأمريكيين وتنامي الخوف من المسلمين أو ما يعرف بـ"الإسلاموفوبيا" إلى مستوى أعلى مما كان عليه عقب هجمات سبتمبر 2001، ودور الخطاب السياسي والخطاب الإعلامي الأمريكي خلال حملات الانتخابات الرئاسية الأخيرة في ترسيخ هذه الصورة.

منهج البحث:

يعتمد البحث نظريا (مكتبيا)، بالدرجة الأولى على المنهج المسحي لتوافقه وطبيعة الدراسة (وصفية تحليلية) وأهدافها، ولتأصيل المفاهيم المتصلة بالموضوع والكشف عن كل عنصر من عناصره، والوصول إلى تقديم رؤية لطبيعة الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في الإعلام الأمريكي،بحيث اعتمدنا على مسح مجموعة من الأدبيات ذات صلة بموضوع الدراسة.

تحديد مفاهيم البحث:

1-الصورة الذهنية:ونقصد بها في بحثنا هذا الصورة الذهنية السلبية التي تكرسها وسائل الإعلام الغربية عمومًا عن الإسلام والمسلمين، بحيث يقول جاك شاهين: «دلت أبحاثي التي دامت أكثر من عشرين سنة على أن كلمتي عربي -ومسلم تثيران ردود فعل عدائية يصعب معهالجمهور أن يميز الحقيقة من الخيال، وربما لم يتعرض أي شعب في العالم نتيجة ذلك إلى هذا المدى من سوء الفهم كما يتعرض المسلمون».[1]وتتحول

الصورة الذهنية إلى صور نمطية عندما تتكرر على نحو ثابت وجامد، وتتسم بالتبسيط المفرط والحكم التعميمي العاطفي.

2-الصورة النمطية في وسائل الإعلام: يرى (ديفيز دينيس) بأن الصورة النمطية «تمثل رأيا مبسطا، أو موقفا عاطفيا، أو حكما متعجلا غير مدروس، وتتسم بالجمود وعدم التغير، وحدد ديفيز أثر الصورة النمطية فذكر أنها عندما نكونها عن شعب معين، فإن هذا يعني عدم اكتراثنا به، وأنه ليس جديرا منا بالاهتمام الكافي لفهمه وإقامة علاقة معه.[2]

وتوظيف وسائل الإعلام لهذه الصورة يتم من خلال أساليب عدة لتترك أثرها على إدراك المشاهد أو المتابع لمحتوى الوسيلة الإعلامية كتبسيط المعلومات وديمومتها، وتقديمها في جرعات سهلة الهضم لعدم قدرة أي فرد على ملاحقة السير الجارف من المعلومات التي تقدم له، كما تعمل الوسائل الإعلامية على طرح وعرض المحتويات الإعلامية بصورة متكررة حتى تنطبع وترسخ في الأذهان، ويظهر الشخص أو مجموعة الأشخاص الذين بنينا عنهم صورا نمطية مستقاه من وسائل الإعلام على أنهم أشخاص معروفون لدينا، كأننا نعرفهم حق المعرفة، بالرغم من أننا لم نقابلهم قط، فقد كوننا صورا معنوية إدراكية عنهم، وحكمنا انفعالاتنا وعواطفنا لتصنيفهم أو إدراجهم في خانات معينة.[3]

3-**الإعلام:** عملية اتصالية يتم من خلالها تبادل الوقائع والأخبار، والآراء والأفكار بين البشر ليبرز تعبير آخر مرادف للإعلام وهو الاتصال الجماهيري والذي يعتبر بحد ذاته عملية نشر أو بث أو إيصال رسالة ما في ظرف ما تعمل إخبارا ومعلومات وآراء أو اتجاهات أو مشاعر حول حدث أو قضية أو مشكلة أو ظاهرة تتصل بالاهتمامات العامة في المجتمع أو يمكن أن تثير شغف الجماهير، يقوم بها مرسل عبر وسيلة اتصال من أجل الوصول إلى دوائر جماهيرية واسعة بهدف التأثير في الرأي العام بغض النظر عما قد يعترضها من تشويه.[4]

4-الرأي العام: وفاق جماعي بشأن الأمور السياسية والمدنية توصلت إليه الجماعات المكونة للمجتمع الأكبر، ويمكن أن تتنوع هذه الجماعات من كيانات صغيرة إلى جماعات ومجتمعات دولية ضخمة.[5]

5-**الإسلاموفوبيا:** (Islamophobia) مصطلح عرب إلى «التخوف من الإسلام والمسلمين»، الذي يعرف بأنه «الفزع من الإسلام أو كرهه، والخوف من المسلمين أو كرههم»، ويعتقد كثير من الخبراء أن هذا المصطلح غير دقيق، ولا يعبر بصدق عن أنواع التمييز ضد المسلمين. ووضعه الأوروبيون على غرار مصطلح

(اللاسامية)، وهي ظاهرة تمييزية أوروبية تختلف تماما، في أجواء انبثاقها، عن نوعية العلاقة بين الإسلام والغرب.[6]

المحور الأول: طبيعة الصورة النمطية في الإعلام الأمريكي عن الإسلام والمسلمين

الصور النمطية للإسلام والمسلمين حسب معظم الباحثين تكونت في المخيلة الأوروبية والأمريكية عبر قرون عديدة منذ بداية الفتوحات الإسلامية ثم الحروب الصليبية، وبدأ اهتمام أوروبا بالإسلام بأوامر كنسية للحد من تقدم هذا الدين. فقد كانت العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي علاقة صراع في مسارها، وجاءت مقولة الخطر الإسلامي التي سادت في الثمانينيات والتسعينات مع ذهاب الخطر الأحمر الشيوعي، وصولا إلى مقولة صدام الحضارات لـ"صامويل هنتنغتون" في منتصف التسعينات التي يرى فيها أن التصادم واقع بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية التي تمثلها الغرب الآن.

هذه المقولة التي لقيت حينها جدلا في الشرق والغرب إلى أن جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001، فأعادت الجدل من جديد وبكثافة عالية، حول العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، فظهرت مقولات «إنهم يكرهوننا» و"إنهم يكرهون العالم الحر» وصولا لمقولة «الإرهاب الإسلامي» والربط بين الإسلام والإرهاب في حرب معلنة أطلق عليها «حرب الأفكار».[7]

وفي هذا الخصوص عاود إدوارد سعيد كشف ملامح العلاقة الملتبسة بين الغرب والعالم الإسلامي والعربي، من خلال مجموعة من النماذج التي تمثل العربي والمسلم بصفة عامة في أمريكا اليوم، بحيث ذهب إلى أن صورة العربي في أمريكا تقبل التحول تمثله وتختزل حقيقته –وكلها صور مغرضة وحسب-، أي أنه تحول من الصورة النمطية الباهتة باعتباره الرحل راكبي الجمال إلى صورة كاريكاتورية ساخرة باعتباره تجسيدا للعجز ويسر القهر، ولم يكن النطاق المسموح به للعربي يزيد عن ذلك. ولكن العربي ظهر بعد عام 1983 في كل مكان في صورة تنذر بخطر أشد، فكثيرا ما كانت تظهر الرسوم الكاريكاتورية التي تصور شيخا عربيا يقف خلف مضخة للبنزين، ولكن هؤلاء العرب كانوا بوضوح «ساميين»، وكانت أنوفهم المعقوفة بوضوح، والنظرة الشبقة الخبيثة في وجوههم ذات الشوارب، مظاهر بارزة تذكر السكان الذين لا ينتمي معظمهم إلى الجنس السامي، بأن «الساميين» من وراء جميع متاعبنا «نحن»، وكانت أهم المتاعب في هذه الحالة نقص البنزين، وكان نقل العداء الشعبي للسامية من هدف يهودي إلى هدف عربي يجري بسلاسة ويسر، وهكذا أصبحت النظرة إلى العربي تصوره في صورة الظل الذي يتبع اليهودي أينما

حل وارتحل، ومن الممكن للغربي أن يودع في ظلك الظل أي قدر لديه من الشكوك الكامنة والتقليدية إزاء الشرق، لأن العرب واليهود ساميون وشرقيون.[8]

صورة المرأة المسلمة:يصور الإعلام الأمريكي المرأة المسلمة أنها ربة بيت جاهلة، غير متعلمة، مقيدة في تصرفاتها وسلوكياتها، ترضخ لرغبات الزوج، أو الأب أو الإبن أو الأخ، دون مراعاة لحريتها الشخصية، فهي حسب الإعلام الغربي مسلوبة الحرية مغلوب على أمرها.ويصورها على أنها المتعلمة والمثقفة الناجحة فقط في حالة ما إذا كانت مصنفة ضمن النساء الحاملات لإيديولوجية الفكر الغربي، سواء تعلمن أو عشن في الغرب أو تشبعن في أوطانهن من الثقافة الغربية الفرانكوفونية أو الأنجلوساكسونية، فتجدهن متمردات على قيم مجتمعاتهم الأصلية سيما مبادئ الشريعة الإسلامية كالتحجب.[9]

النشرات أو الصور الإخبارية: يظهر العربي دائما في حشود كبيرة، وينتفي اعتباره فردا يتمتع بخصائص أو خبرات شخصية، ومعظم الصور تمثل الغضب الجماهيري الجامع والبؤس، أو الحركات غير العقلانية التي تبدو شاذة وميؤوسا منها. وخلف جميع هذه الصور يكمن التهديد بخطر الجهاد، أو الخوف من أن المسلمين أو العرب سيستولون على العالم.

الكتب والمقالات: تنشر بانتظام الكتب والمقالات التي تتناول الإسلام والعرب والتي لا تمثل أي تغيير على الإطلاق في الجدليات الضاربة المناهضة للإسلام في العصور الوسطى وعصر النهضة. ولم يحدث أن تعرضت طائفة عرقية أو دينية أخرى لثبات كل ما يكتب أو يقال عنها تقريبا دون الطعن فيه أو الاعتراض عليه. ويقول مرشد دراسات طلاب مرحلة الليسانس في كلية كولومبيا لعام 1975، عن منهج اللغة العربية إن نصف كلمات تلك اللغة مرتبط بالعنف، وإن العقل العربي، كما «يتجلى» في اللغة، طنان أجوف، ونرى في مقال حديث بقلم "إميت تيريل"، نشرته مجلة "هربرت"، قدرا أكبر من العنصرية والقذف بالباطل إذ يزعم المقال أن العرب سفاكون للدماء بصفة أساسية، وأن العنف والخداع كامنان في الجينات الوراثية العربية». وقد صدر مسح بعنوان العرب في الكتب الدراسية الأمريكية يكشف عن أغرب المعلومات الخاطئة وأكثرها إثارة للدهشة.[10]

الإسلام امتداد للشيوعية:وفي هذا السياق ذهب "ديبير سنغاس" في كتاب «الصراع داخل الحضارات»، أن النظرية التي تصور الإسلام في صورة شيطان بدأت تروج وتشيع داخل الغرب بل وأكثر من هذا أنها تساعد على التركيز من جديد على ما يسمى «صراع الغرب –الشرق». ونسمع في الوقت نفسه من يزعم أن صورة العدو الجديدة هذه إنما هي حيلة "ميكيافيللية" لإبدال المفهوم القديم عن العدو الشيوعي، وينسى

هؤلاء واقع أن تصور الشيوعية في صورة شيطان لم يكن له أي تأثير،لهذا فإن تصور الشيوعية في صورة شيطان ابتداء من الخمسينيات والستينيات لم لتكن لها سوى أهمية هامشية ومن ثم لا حاجة لتقديم بديل. ونرى أن تصور شيطان جديد للدلالة على عدو جديد بمعنى إبدال الإسلام بالشيوعية، وإنما هو إلى حد كبير تصور خيالي، بيد أنه يتوفر مفهوم واقعي عن الإسلام إذا ما رأى الناس أنفسهم هنا في الغرب يواجهون عدوا متخيلا وليسوا إزاء حقائق الإسلام (أو نقول الصور المختلفة عن الإسلام).[11]

التحول نحو رهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا»:بعد كل ما سبق تأتي الفترة المعاصرة التي توهمت أن الإسلام يمثل خطرا يهدد الوجود الغربي بثقافته التي بني عليها، ونحت الغرب مصطلح الإسلاموفوفيا Islamophobia، لاسيما بعد انتهاء تأثير المعسكر الشرقي، وانتهاء الحرب الباردة، والبحث عن عدو جديد ويتوحد الغرب ويتحالف في التصدي له.[12]

وفي هذا الصدد يقول بروس لورنس، في كتابه «الإسلام ما بعد العنف»، أي ما بعد هجوم 11 سبتمبر: «لم يفتح هجوم 11 سبتمبر عقول الأميركيين على الإسلام، ليعرفوه ويدرسونه. بالعكس، هزهم الهجوم، وكأنه صعقة كهربائية أصابت كل أميركي، ولهذا لم يكن غريبا أن نظرتهم للإسلام صارت إما خوفا أو استهزاء، ومع زيادة موجات الهجرة إلى أمريكا وخاصة من دول العالم الثالث، صار الأمريكي يخاف من ناس لا يحترمون قوانين المرور، ولا يلتزمون بقوانين الهجرة، ولا يدفعون الضرائب، ولا يقفون في صف منتظم ينتظرون دورهم، وليسوا مهذبين ومؤدبي، ولا يلبسون مثلهم ولا يتكلمون مثلهم، ولا يتصرفون مثلهم.[13] وكان من نتائجه التضييق على الجاليات المسلمة، وتطاول بعضهم على الإسلام وعلى القرآن الكريم، فشبهه مذيع قناة «فوكس» "بيل أورايلي" بكتاب كفاحي لهتلر.

هذا وعرّب بعض الباحثين أن الإسلاموفوبيا اختصارا بـ (رهاب الإسلام)، ضمن ما يعتقد أنها سياسة حكومية تستهدف إقناع المجتمع الغربي بوجود تناقض صارخ مع الإسلام، حسب مقولة أن «الإسلام هو الخطر الجديد القادم نحو البلدان الغربية من الشرق، بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، كما عبر عن ذلك الأمين العام للحلف الأطلسي في بداية التسعينيات». وقد تحول هذا الخوف من الإسلام والمسلمين إلى مرض غير مبرر، بحيث يشمل هذا الهاجس كل من يدين بالإسلام وعلى مختلف المستويات الاجتماعية.[14]

وعليه فإن الخوف من الإسلام ليس وليد القرن 21، وليس وليد أحداث 11 سبتمبر 2001، كما يبدو لأول وهلة، بل يكاد هذا الهاجس يسيطر على المجتمع الغربي بخاصة، والمجتمعات غير الإسلامية بعامة منذ بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم)، ولهذا نشأت الأدبيات التي تسعى إلى تنبيه القوم من خطر الإسلام،

وقامت الحروب والمناوشات والحوارات العنيفة والأقوال الصادة، بدلا من الحوارات المباشرة القائمة على الحجاج والجدال بالتي أحسن.[15] وقد كتب "هشام جعيط" حول عدد من الكتاب الأوروبيين من أمثال فولتير، حيث ذكر أن نظرته إلى الإسلام كانت مبنية على أنه التطرف واللاإنسانية والتطلع إلى القوة.[16]

وتساعد الظروف والأحداث الآنية في تعميق هذا الوهم، من خلال عدة مؤشرات، منها سيطرة المحافظين الجدد على الإدارة الأمريكية، والأحداث التي حصلت في 11 سبتمبر 2001، والتي اتهم بتنفيذها شباب مسلمين، وبعدها اجتياح العراق في 20 مارس 2003، بحجة أن النظام القائم آنذاك يهدد الاستقرار في المنطقة، أي يهدد الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة، إضافة إلى أحداث أخرى كهجومات باريس وبروكسل، وظهور التنظيم الإرهابي «داعش».

وعليه يمكن القول أن مشكلة صناعة الصورة النمطية المشوهة للإسلام وللمسلمين في الإعلام الغربي عامة والأمريكي خاصة لا تعود أسبابها إلى الجهود الإعلامية فقط ولكن هي أكبر وأوسع من هذا بحيث تمتد لأن تكون أسبابه متعددة، وهو ما سنطرق إليه في المحور الثاني من الدراسي والذي سنكشف فه عن أهم الأسباب التي أدت إلى تشكيل وترسيخ هذه الصورة النمطية الخاطئة.

المحور الثاني: أسباب تشكل الصورة السيئة للإسلام والمسلمين لدى الأمريكيين وفكرة «الإسلاموفوبيا»

هناك جملة من الأسباب التي أدت إلى تشكل الصورة السيئة للإسلام والمسلمين والتي تتضح من خلال النقاط التالية:

1/ الاستشراق وتشويه صورة الإسلام والمسلمين:

لعب المستشرقون أمثال «غوستاف فون غرونبون»، «برنارد لويس»، «صمويل هنتنغتون» وغيرهم دورا كبيرا في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، وكانوا يهدفون منذ بداياتهم إلى تحقيق التالي:

أ/ الحيلولة دون تسرب مبادئ القرآن وأفكاره إلى شعوبهم، فتفقد التوراة والإنجيل مصداقيتها.

ب/ التقليل من قيمة القرآن، وإضعاف مكانته في قلوب المسلمين حتى يتسنى لهم تنفيذ مخططاتهم الصليبية الغربية، فقد أشار «وليام إيوارت جلادستون» إلى هذه الحقيقة بقوله: «ما دام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون في أمان». ومن أجل الوصول إلى هذين الهدفين عمدوا إلى دراسة القرآن الكريم دراسة شاملة، قبل البدء في مكافحته، لاكتشاف خباياه

واستقصاء موضوعاته، ثم يجعلون من تلك الدراسة معاول يضربونه بها، وهذا ما يؤكده المبشر "جون تاكلي" بقوله: «يجب أن نستخدم القرآن، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا».[17] ومثال عن هذا العديد من الأفلام السينمائية الغربية التي تسعى إلى تشويه صورة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وتحريف العديد من الآيات القرآنية.

ويرجع محمد علي خالدي أسباب هذه الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين والعرب إلى «دور عملية الإستشراق وإشاعة تصوراتها، إذ احتلت الأولوية في المشهد الثقافي وخدمتها أهدافا استعمارية، فخرقت ثقافات الشعوب المحلية وطمست هويتها الحضارية من خلال فرض التصورات الغربية لكل مناحي الحياة وتفسير أحداث التاريخ الإسلامي بموجب مقاسات تلك السياسة الاستعمارية».[18] ويستفيد الإعلام من الخلفية العلمية لهذه الفئة من المستشرقين في تذكية صناعة الكراهية بين الثقافات، وإضافة صورة نمطية غير حسنة عن الإسلام وحضارته وثقافته وعن المسلمين، وغدت وسائل الإعلام تلاحق المستشرقين بالمقالات والإسهامات الأخرى، كعرض رؤى المستشرقين وكتبهم.[19]

وأدى هذا التوجه إلى النظر إلى الإستشراق الجديد على أنه تحت سيطرة مفهوم العولمة، فظهر ما يطلق عليه الإستشراق المعولم أو إستشراق العولمة أو الإستشراق الصحفي، الذي يقوده رجال الإعلام والسياسة «الذين تكونوا تكوينا خاصا داخل المدارس الغربية. بحيث يقول "حسن عزوزي" عن المستشرقين الصحفيين: «ولقد أخذ كثير من المستشرقين الصحفيين يعززون مواقفهم الثقافية بالاضطلاع بدراسات ميدانية في بعض الدول الإسلامية، وهي دراسات تكون مقترحة وممولة من طرف مراكز البحث حول مجتمعات العالم الإسلامي بالجماعات الغربية التي تعمل على تكوين خبراء مناطق لا يتم إرسالهم إلى المنطقة العربية المحددة إلا بعد أن يلقنوا ويشحنوا بكم هائل من الأفكار المسبقة والمقولات الخاطئة في حق الإسلام والمسلمين. وكثيرا ما يرسل المستشرق الصحفي إلى بلد إسلامي غريب عليه دون أي إعداد أو خبرة تؤهله للمهمة المناطة به، بل يمكن المؤهل الوحيد في براعته في التقاط الأشياء والأحداث بسرعة.[20]

الجدير بالذكر هو أن ما يزيد من الحقد الغربي على الإسلام، شعورهم بالخطر والخوف من قوته ووحدته، مما دفعهم إلى البحث عن خطط بديلة لمحاربة الإسلام وتفتيت وحدته من خلال تشويه صورته في العالم، فلم يعد خفيا ما يبذله المستشرقون من جهود في محاربة الإسلام بالتشكيك في مصادره وتلفيق الأباطيل والإلقاء بها في ساحة الشريعة الغراء، ومحاولة إغراق المسلمين بالتيارات الفكرية المضللة،

ومحاربة اللغة العربية التي تزل بها القرآن الكريم، وهو ما نستنتجه من قول محمد "ياسين عريبي": «أن الإستشراق خير أداة لاستلاب حضارة الإسلام، ومجابهة عقيدته، وبالرغم من تشعب الإستشراق وتطوره فإن الدوافع الدينية هي التي ما زالت تمثل الخيط الأحمر لنسيجه.»[21]

وفي هذا السياق ظهرت دراسة «صدام الحضارات» لمؤلفها "صمويل هنتنجتون" في صورة مقال أولا ثم حوّله إلى كتاب سنة 1996، والتي تعتبر من أخطر النظريات الصدامية التي أنتجها المفكرون الغرب، لما تحمله من أفكار عنصرية تحث المجتمعات الغربية على مجابهة الحضارات الأخرى التي تختلف عنها، وعلى رأسها الحضارة العربية الإسلامية، حيث يقول هنتنغتون في كتابه: «المشكلة الأساسية بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام، فهو حضارة مختلفة أفرادها مقتنعين بسمو ثقافتهم، ومهووسين بضعف قوتهم.»

ولقد منحت أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية مصداقية أكثر لمقولة "هنتنغتون"، حيث أفردت له مجلة " Atlantic Monyhly"The مقالا عن حياة ونظرية هنتنغون بعنوان «جورج بوش وجه دعوة للنبي لإلقاء محاضرة في البيت الأبيض أواسط سبتمبر 2001»، حيث علقت الصحيفة أن نظرته الباردة لحقيقة العالم، والتي كانت موضع جدل، برهنت الأحداث بقوة على صحتها.

ولقد ساهمت أفكار هنتنغتون في صناعة رأي عام غربي يرفض التعايش مع الحضارات والأمم الأخرى وبالتالي اتخاذ مواقف مجتمعية غريبة من المهاجرين الذين يعيشون في الغرب.[22] وما زاد من هذه المعاملة السيئة للمسلمين المقيمين في الدول الغربية عامة والولايات المتحدة عامة، تعرض هذه الدول في عدة مرات لاعتداءات إرهابية منها هجومات باريس وبروكسل وكذا اعتداءات مدريد ولندن، التي وجهت فيها أصابع الاتهام كل مرة إلى شخصيات عربية إسلامية مقيمة في هذه الدول، الأمر الذي زاد من خوف الأوروبيين والأمريكيين من الإسلام والمسلمين وتنامي النزعة العنصرية تجاههم.

وجاء كتاب «الصدام داخل الحضارات» لمؤلفه التقدمي "ديبتر سنغاس" ردا ونقدا حاسمين ضد دعاوى المحافظين الجدد الأمريكيين. وبديلا من العيش أسرى لما يروج له الإعلام الأمريكي والانجرار إلى سجال زائف حول قضايا زائفة ومفتعلة تستنفذ جهدنا بينما الغرب يجني ثماره. وحسب مترجم الكتاب شوقي جلال فإن "سنغاس" يؤكد على أن مظاهر التخلف الثقافي ليست حكرا على مجتمع دون آخر في التاريخ، بحيث يدعو إلى ما يسميه فلسفة الحوار التفاعلي بين الثقافات بحيث تعتمد هذه الفلسفة على مبدأ مراجعة تاريخ الغرب المثقل بالنزاعات (علاوة على النهج الأمبريالي) وأثرها الراهن على الاقتصاد السياسي

الكوكبي. بمعنى أن المجتمعات المختلفة مطالبة بالحوار مع ذاتها ومراجعة نقدية لذاتها في التاريخ والحاضر والكشف عن العوائق التي تتخفى وراء مزاعم إيديولوجية تحول دون الحركة والتقدم. وتقضي هذه الفلسفة بالمواجهة عبر الحوار الصريح لحقيقة أزمة الغرب (وأزمة أي مجتمع) في داخله بدلا من اختلاق خصوم من خارجه، وهم أعداء وهميون.[23]

صحيح أن الإشتشراق سبب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين ولكنه في بعض الأحيان يحمل إيجابيات على المتلقين غير المسلمين، إذ يعمد بعض المتابعين لهذه الطعون، مثل "خالد شلدريك" الذي كان واحدا من مريدي الإستشراق لكنه أسلم وترك الإستشراق. وجاء إسلامه لا من خلال القراءات عن الإسلام من مصادره، ولكن من خلال كتابات الطاعنين فيه، حيث تمتلئ الكتب الإستشراقية المؤلفة عن الإسلام «بالتحامل والمطاعن والعرض الظالم والزعم أن الإسلام ليس دينا مستقلا، ولكنه أقوال محرفة عن كتب المسيحيين.» [24]وبحسب أرقام عام 2012، أشارت دراسة متخصصة بشئون الأقليات في العالم، أن عدد المسلمين في قارة أوروبا بلغ 45 مليونًا، تتركز أكبر كثافة سكانية منهم في منطقة البلقان. وأشارت أرقام أمريكية أخرى إلى اعتناق حوالي 20 ألف أمريكي سنويا للدين الإسلامي.[25]

2/ التغطية الإعلامية للإسلام والمسلمين وحجب الحقائق:

يقول ويليام ليدرر في كتابه «أمة من الغنم»: «أن نصبح جميعا على علم بما يجري حولنا، أمر صعب التطبيق مثله مثل أغلب الحلول البسيطة والسهلة، وبصورة خاصة فهو صعب التطبيق الآن في الولايات المتحدة الأمريكية لعدم توفر الحقيقة ولكون الحكومة تجهل الأحداث البسيطة الواضحة التي تحدث في الأمم الأخرى، وكذلك لأن الصحافة واثقة من أن الشعب الأمريكي لا يرغب في سماع الأحداث القاسية التي تجري في الخارج والتي تحتاج إلى مجهودات كبيرة وروتينية لتغطيتها إعلاميا. وإن فقدان المعرفة بالأمور الدولية جعلت الشعب في الولايات المتحدة الأمريكية يبدو كأنه شعب من الغنم، صلب ولكنه غير مبالي بما يجري حوله وليس لديه الرغبة والقدرة لمعرفة الأسباب، يوافق على أي من الحلول التي تبدو مبتذلة وسهلة والتي تأتي من مصادرها تظهر بأنها أكثر معرفة من غيرها».[26]

ونحن اليوم من خلال موضوعنا هذا لو اسقطنا ما قاله "ويليام ليدرر" على صورة الإسلام والمسلمين في أمريكا لوجدنا أنه انطلاقا من مصالح السياسة الأمريكية وقوة الإعلام الأمريكي وما يقدمه للجمهور من معلومات وصور نمطية خاطئة وملفقة عن الإسلام والمسلمين، لوجدنا أنها قد نجحت في ترسيخ هذه

الصورة بسهولة في ذهن المواطن الأمريكي الذي أصبح ينظر بعين الإعلام الأمريكي لكل من هو مسلم وما هو إسلامي بأنه تخلف، خطر، تهديد، رهاب وإرهاب.

بحيث تقدم وسائل الإعلام الأمريكية صورة تتسم بالسلبية عن الدول العربية والإسلامية كأنباء الحروب والمعارك والانقلابات العسكرية والاغتيالات السياسية والكوارث والأزمات الاقتصادية، وقد بلغت نسبة الأخبار السلبية التي تقدمها إذاعة صوت أمريكا عن العالم الإسلامي 52.79% من مجموع الموضوعات والأخبار التي تبثها مساهمة في تشويه الصورة الحقيقية للإسلام.[27]

ويمكن أن نستشهد هنا بما كتبه الصحفي الأمريكي المشهور (تيودور هوايت) وهو يتحدث عن (هنري لوس) مؤسس ومالك مجلات (تايم)، (لايف)، (فورتشن) أين قال: «كان هنري لوس رجلا فذا... ولن نفهم شخصيته وعقليته إلا إذا أخذناه كدراسة عن القوة-قوة الصحافة-. وبالتالي إحساسه بالقوة الهائلة المطلقة في التأثير على الأحداث. وقد كان مدركا هذه القوة التي في يده، كان فهمه للصحافة هو أن مراسليه في كل مكان عليهم أن يبعثوا إليه بكل ما يعرفون ولكن في مقر قيادته في نيويورك، وكان مديرو التحرير يحولون كل هذه المعلومات إلى ما يخدم آراءه واتجاهاته الشخصية (...) حرية الصحافة عنده أن مراسله حر في إرسال ما يريد، وهو حر في نش ما يريد وكما يريد.»[28]

هذا في الوقت الذي صرح فيه الرئيس الأمريكي الحالي «دونالد ترامب» في العديد من المرات والمناسبات بعد تقلده منصب الرئاسة صرح أن وسائل الإعلام الأمريكية كاذبة واستخفت بقدرات الشعب الأمريكي وكانت تروج أخبار زائفة عنه خلال الحملة الانتخابية، وأضاف في كلمته بمؤتمر صحفي في ولاية "ميرلاند"، أن هناك العديد من القنوات الأمريكية تبث أخبار زائفة وغير الحقيقية، معربا عن رفضه الكامل لما يتم في وسائل الإعلام الأمريكية من فبركة أخبار زائفة واستخدام المصادر بطريقة غير أمينة. مؤكدا أنه سيواجه مع الشعب الأمريكي وسائل الإعلام التي تبث أخبار كاذبة، قائلا:» سنواجه معا وسائل الإعلام».[29]

منتقدا في ذلك العاملين بالصحافة قائلا: «أنهم سيقومون بأي شيء من أجل لفت الانتباه». وذكر ترامب - فى تغريدة له على «تويتر» حسبما نقلت صحيفة «ذا هيل» الأمريكية على موقعها الإلكتروني-أن «إعلام الأخبار الكاذبة بات خارج السيطرة بشكل رسمي. سيفعلون أى شيء من أجل لفت الانتباه – لم يسبق أن عاصرت وقتا كهذا».[30]

بالإضافة إلى ما تقدم فإن هذه الوسائل تعمل على تحطيم الروح المعنوية للناشئة ويتجلى هذا الأمر فيما يعرف بالحرب الإعلامية النفسية، حيث يعمد الإعلام إلى التأثير في آراء وعواطف ومواقف وسلوك أبناء الجاليات بطريقة تساعد على تحقيق أهداف التغريب من جهة والتهوين من شأن الثقافة الإسلامية الأصيلة من جهة أخرى وذلك من خلال تحطيم الروح المعنوية للناشئة المسلمة. وهذه السياسة الإعلامية تزلزل عقول وأفكار الناشئة المسلمة وتبالغ في تزيين القول وتشويه الحقائق، معتمدة على تقنيات المعلومات المتطورة وأساليب الإبداع التمويهية للتأثير في الشخصية الإسلامية وبلوغ أهداف منها الدفع بالإحساس بالنقص والتشاؤم، وزرع الهزيمة النفسية قصد إعادة تشكيل العقل والفكر، وأخيراً التشكيك في مدى صلاحية الثقافة الإسلامية في بلدان المهجر وزعزعة الإيمان بالمبادئ والقيم والمثل الإسلامية الأصيلة.[31]

وفي نفس السياق نجد أن إدوارد سعيد في كتابه «تغطية الإسلام» يقول: «لم أستطع أن أكشف أي فترة في التاريخ الأوروبي، أو الأمريكي منذ القرون الوسطى نوقش فيها الإسلام، وفكر فيه خارج إطار العاطفة، والتعصب والمصالح السياسية»، ووفقا لما ذهب إليه إدوارد سعيد فإن: «الآراء تتفق على اعتبار «الإسلام» كبش الفداء الذي تنسب إليه كل ما يتصادف أن نكرهه في الأنساق السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجديدة في عالم اليوم. فاليمين يرى أن الإسلام يمثل الهمجية، واليسار يرى أنه يمثل حكم الدين في القرون الوسطى، والوسط يرى أنه يمثل الغرابة الممجوجة، وأما ما تتفق عليه هذه الدوائر جميعا –وعلى الرغم من ضآلة ما تعرفه عن العالم الإسلامي-فهو استحالة قبول جوانب كثيرة من جوانبه، وينحصر ما تعتبره هذه الدوائر ذا قيمة في الإسلام.»[32].

وفي هذه الحالة فمن المستحيل أن يتلقى الإسلام تغطية عادلة في وسائل الإعلام الغربية عموما والأمريكية خاصة، لأنه حسب "آصف حسين" أصبح ينظر للإسلام على أنه تهديد للعالم الغربي، بينما ينظر للحضارات العظمى الأخرى في الشرق والهند والصين وغيرها على أنها مهزومة، وبعيدة وبالتالي لا تشكل قلقا مستمرا، وعلى ذلك فالإسلام وحده لم يخضع أبدا للغرب خضوعا كليا.[33]

وعليه يقول إدوارد سعيد: «يعرّف الإسلام سلبيا على أنه الدين الذي بينه وبين الغرب عداء متطرف مما جعل هذا التوتر يفرض قيودا شديدة في سبيل معرفة الإسلام ومادام هذا الإطار موجودا فالإسلام بصفته تجربة حيوية يعيشها المسلمون لا يمكن معرفتها». وهذا مبدأ صحيح، ذلك أن العداوة تولد الكراهية، وليس التقمص العاطفي، إنها توجد التحيز في عقل الكاتب الغربي تجاه الإسلام حتى قبل أن يبدأ النظر في الحقائق، ولكن وسائل الإعلام ليست خالية من الضغوط، كما يقول إدوارد سعي، وعلى

ذلك فيكمن لهذه الوسائل أن تستخدم مصطلحات مثل «الموضوعية»، «الصدق» و«التغطية الواقعية» و«الدقة»، ولكنها كلها «مصطلحات نسبية»، إنها تعبر عن نيات ربما، ولكنها لا تعبر عن أهداف قابلة للتحقيق، وعندئذ فكل التحقيقات حول الإسلام، وبخاصة التي تقدمها وسائل الإعلام الأمريكية موجهة للدفاع عن إسرائيل التي ينظر إليها على أنها «بمنزلة معقل الحضارة الغربية وسط الأدغال الإسلامية، ثانيا فقد أصبح أمن إسرائيل في نظر الأمريكيين قابلا للتبادل بطريقة ملائمة مع أبعاد الإسلام، واستمرارية السيطرة الغربية، وإبراز فضائل التحديث.

3/ التغذيةالصهيونية لوسائل الإعلام الأمريكية لتشويه صورة الإسلام والمسلمين:

يساهم الإعلام الغربي والأمريكي خاصة في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وهذا بدفع وتحريض من الإعلام الصهيوني، فمنذ انتهاء الحرب الباردة وزعماء «إسرائيل» يروجون أن الإسلام المتطرف ورث الشيوعية السوفيتية في دور إمبراطورية الشر، وهو يدعون إلى تجميع الجهود لمكافحة الإرهاب الحقيقي الممثل بالمسلمين والعرب وقد جاءت ضربة برجي التجارة في سبتمبر 2001 لتثبت أن إسرائيل صادقة حسب زعمهم.

فالصهاينة هم المستفيدون بالدرجة الأولى من تشويه صورة الإسلام ومن الترويج لهذه الصورة في المجتمعات الغربية، ولا شك أن بعض المؤسسات الصهيونية وبخاصة في الولايات المتحدة الأميركية هي التي أسهمت بدور كبير في الترويج -مثلاً-لمقولة الخطر الإسلامي، بأن هناك خطراً وأن العدو القادم الإسلامي. فنظرا للمعرفة الجدية للإسرائيليين بالأثر القوي لوسائل الإعلام ودوره الخطير على مسرح السياسة الأمريكية فعملوا على التغلغل فيها والسيطرة عليها بواسطة امتلاك المحطات الأمريكية الرئيسية الثلاثة للتلفزيون، حيث أن أصحاب الشركات الثلاث كلهم يهود، كما أننا نجد لليهود أيادي مؤثرة وأصوات قوية في معظم محطات التلفزيون المحلية وأدوات الصحف العالمية ومحطات الإذاعة.[34]

وهو ما يمكن تأكيده من خلال طرح التساؤل التالي: من يملك الإعلام الأمريكي؟

تجمع معظم الإحصائيات أن المواطن الأمريكي يتابع ما يحدث في بلده وفي باقي أنحاء العالم من خلال نشرات الأخبار التلفزيونية التي تشكل أهم مصدر إخباري لنسبة 85% من الشعب الأمريكي، وهناك أربع **شبكات تلفزيونية** تشكل في مجموعها أكثر من 95% من الأخبار المحلية والعالمية التي تجمع وتصور وتبث للمواطن الأمريكي، وهذه الشبكات هي: "سي.إن.إن" CNN وتملكها شركة "تايم-وارنر" التي يرأسها "جيرالد ليفين" (يهودي)، وشبكة "إي.بي.سي" ABC وتملكها شركة "والت ديزني" التي يرأسها "مايكل إيزنار"

(يهودي)، وشبكة "سي.بي.إس" CBS وتملكها شركة "وستنجهاوس" ويرأسها "إيريك وابر" (يهودي)، وشبكة "أن.بي.سي" NBC وتملكها "جنرال إليكتريك" ويرأس قطاع الأخبار فيها "أندرو لاك" (يهودي) ومن المفاجئ بلا شك أن نجد كل هذه الشبكات تدار حاليا من قبل اليهود، يعني 100% من القرار الخاص بالأخبار تبث من أكبر أربع شبكات تلفزيونية أمريكية تتحكم في 95% من الأخبار في أمريكا. ولها أثر بالغ لأنها تشكل مصدرا رئيسيا للأخيار التي يتلقاها 85% من الشعب الأمريكي هي لليهود.

أما **الصحافة اليومية** فقد نجح اليهود في السيطرة عليها بل وامتلاك أكبر ثلاث مؤسسات صحفية أمريكية مؤثرة، وهذه الصحف هي: "نيويورك تايمز" التي تعتبر الصحيفة الموجهة لنبض المجتمع الأمريكي والمعبرة عن ثقافتها ويتولى رئاستها ويشغل منصب الناشر لها في الوقت الحالي "آرثر أوكس سالزبرج" (يهودي)، إضافة إلى الصحيفة اليومية الهامة، فإن مؤسسة "نيويورك تايمز" تمتلك أيضا 36 صحيفة يومية أخرى و12 مجلة هامة و3 شركات لطباعة الكتب، وتتولى "نيويورك تايمز" تزويد ما يزيد عن 500 صحيفة يوميةبالأخبار.والصحيفة الثانية هي "واشنطن بوست" وهي الجريدة السياسية الأولى في أمريكا، ويقرؤها معظم صانعي القرار ابتداء من البيت الأبيض، وحتى ممثلي الولايات في الكونجرس الأمريكي، وقد اشترى "إيجين ماير" (يهودي) هذه الصحيفة هام 1933 ولا تزال مملوكة لعائلته، وتمتلك الحصة الكبرى فيها إحدى حفيدات "إيجين"وهي "كاثرين ماير" (يهودية)، أما صحيفة "وول ستريت جورنال" وهي صحيفة المال والتجارة.والتي يقرؤها السياسيون ورؤساء الشركات والمستثمرون وأصحاب الأموال في أمريكا وكثير من بقاع العالم، وتعتبر أكثر الصحف الأمريكية انتشارا، حيث يطبع منها ما يزيد على 2.1 مليون نسخة يوميا فهي مملوكة لشركة داو جونز التي يرأسها بيتر كان (يهودي) وتصدر المؤسسة 24 صحيفة يومية وأسبوعية أخرى.

أما **المجلات الأسبوعية** فنجد أن أهمها على الساحة السياسية مملوك تماما لليهود، وهذه المجلات هي: مجلة "التايم" 4.1 مليون نسخة أسبوعيا وتملكها "تايم وارنر" التي يرأسها "جارالد ليفين" (يهودي) ومجلة نيويورك 2.3 مليون نسخة وهي مملوكة "للواشنطن بوست" التي ترأسها "كاثرين ماير" (يهودية) وأخيرا مجلة "يو.إس نيوز" 2.3 مليون نسخة ويملك أغلب أسهمها ويرأسها "ماتينمر زوكرمان" يهودي.

أما ناحية **دور النشر** فيوجد في أمريكا مئات دور النشر في المجالات الثقافية والعلمية المختلفة، ولكننا نجد عند البحث عن أكبر هذه الدور أنها مملوكة وتدار أيضا من قبل اليهود، فمؤسسة "تايم بوكس" مملوكة لشركة "تايم وارنر"التي ذكرنا سابقا أن رئيسها هو جيرالد ليفين (يهودي)، ومؤسسة "راندم هاوس" يملكها "نيوهاوس صامويل" (يهودي). ومؤسسة "سايمون أند شوستر" مملوكة لشركة "بارامونت"

التي يرأسها "مارتين دايفز" (يهودي). وأخيرا شركة وسترن التي يرأسها "ريشارد برنستاين" (يهودي). ولذلك فليس من المستغرب أن نشاهد هذا التواطؤ الإعلامي على تشويه حقائق الصراع في كل مناطق العالم الإسلامي، وطرحها بصورة تخدم التوجهات الغربية واليهودية.[35]

3/ صورة الإسلام والمسلمين في سينما هوليوود:

تعتبر هوليوود أهم مصدر للترفيه في العالم وتصل إلى أكثر من مائة وخمسين دولة، لذا فإنك إن رأيت عربيا شريرا في فيلم من هوليوود فإنك تراه في أيسلندا في إندونيسيا وهكذا هذه الصورة تشوه كل ما له علاقة بالعرب وتجعل من الإسلام شريرا وهي معنا منذ أكثر من مائة عام ولهذا فإنها تؤثر على ثلاثة مستويات؛ تؤثر في الرأي العام وتؤثر في تبني السياسة وتؤثر في العربي وخاصة العربي المسلم من ناحية أنها تجعله يخجل من إرثه وتاريخه.[36]

وحسب إدوارد سعيد فإن صورة العربي في السينما الأمريكية فترتبط إما بالفوق أو الخيانة وسفك الدماء، فهو يظهر في صورة صاحب الشهوة الجنسية الطاغية، لمنحل المنحط، القادر ولا شك على أن يحبك مؤامرات خبيثة بارعة، ولكنه في جوهره يتلذذ بتعذيب غيره، خائن وضيع. زمن الأدوار التقليدية للعربي في السينما دور تاجر الرقيق، وسائق الجمال، والصراف، والوغد الجذاب، وكثيرا ما يظهر القائد العربي لعصابة لصوص أو قراصنة أو جماعة من الأهالي المتمردين، في صورة من يسخر من البطل الغربي الذي أسروه مع صاحبته الشقراء (وصورتها ما تنضح عن الخلق السوي)، قائلا «سوف يقتلكما رجالي، ولكنهم يريدون التسلي أولا»، وهو يرمقهما بنظرات خبيثة موحية أثناء حديثه.[37]

وفي هذه النقطة يقول جاك شاهين:"العرب يبدون متخلفين وخطرين عند النظر إليهم عبر عدسات هوليود المشوهة». مضيفا في دراسة أجراها حول صورة العربي في السينما الهوليودية يقول:» لا أقول بأنه لا يجب أن يصور العربي أبدا على أنه شرير، ولكن ما أحاول قوله هو أن جل الأعمال السينمائية في هوليوود تصور أن العرب كلهم سيئون والتي تعتبر قمة اللامساواة والظلم في تقديم صورة سلبية عن كل العرب والتي تتناقلها الأجيال."[38]

ولا يغفل الباحث هنا دور الأفلام الأمريكية الهوليودية التي تحمل مسؤولية الصورة النمطية المشوهة للعربي والمسلم، ولاسيما أن المواطن الأمريكي العادي لا يعرف شيئاً خارج أمريكا إلا من خلال الأفلام التي تشوه صورة العرب والمسلمين، ومن هذه الأفلام الهوليودية التي سعت لتشويه الحقائق فيلم (أرابيسك) لمخرجه الأمريكي (ستانلي دونين) متخفياً وراء المعنى الشائع لكلمة (أرابيسك) المعبرة عن فن الزخرفة

العربية، ومن الأفلام الأمريكية التي ربطت العربي بالإرهاب فيلم (الأحد الأسود) 1970 إخراج الصهيوني (جون فرانكينهايمر)، ومن أفلام التسعينات (أكاذيب حقيقية) 1994 إخراج "جيمس كايزون"، وقرار مصيري 1995 إخراج "بايرد"، والحصار (ادوارندويك) 1998، وكلها أفلام تسعى لرسم صورة نمطية مشوهة عن الإسلام والمسلمين.[39]

المحور الثالث: الخطاب الإعلامي والسياسي الأمريكي وإعادة تركيب صورة الإسلام والمسلمين لدى الأمريكيين

يعتبر الخطاب الرئاسي في الولايات المتحدة الأمريكية واحد من الدعامات التي تستند عليها السياسة والإعلام الأمريكي لتشويه صورة الإسلام والمسلمين خصوصا بعد أحداث 11 سبتمبر والبداية كانت مع خطاب الرئيس الأمريكي "جورج دبليو بوش" الذي قال فيه عدنان شوكت شومان بأنه قد ارتكب ثلاثة أخطاء كبيرة في حملته ضد الإرهاب: أولا أنه قسم العالم إلى قسمين قائلا في خطاب علني ورسمي: كل من لا يسير معنا في حملتنا ضد الإرهاب يصبح عدوا لنا، أي انه طالب العالم أجمع أن يوافقوه على تفسيره وتعريفه للإرهاب أو يسيروا معه «كالغنم» دون تفكير أو اعتراض لتحقيق أمريكا ما تراه مناسبا. أما الخطأ الثاني هو حشد الجيوش وتخصيص الأموال الضخمة لحملة عسكرية وإعلامية وسياسية بدأت الولايات المتحدة في تنفيذها ووجهت الاتهامات دون أن يكون لديها أدلة دامغة على ذلك وهكذا بدأ القصف الوحشي لشعب أعزل في أفغانستان. والثالث إعلان عداء سافر ضد الإسلام والمسلمين، بقوله إنها «حرب صليبية»، إن تداعيات هذا الأمر كبيرة وستكون أكثر خطرا على العلاقات بين الشعوب.[40]

كما رأى آخرون أن تقسيم الرئيس جورج دبليو بوش للعالم إلى «خير» و«شر» وإلى عالم «متحضر» وآخر «غير متحضر»، وحديث رئيس الوزراء الإيطالي "سيلفيو برلسكوني" في سبتمبر/أيلول 2001 عن «سمو الحضارة الغربية مقارنة بالحضارة الإسلامية».. يمثلان «رأس جبل جليد» مليء بالرؤى العنصرية ضد الإسلام والمسلمين في الغرب والولايات المتحدة خلال الفترة الراهنة.وقد تجلت هذه الرؤى العنصرية في موقف بعض قيادات اليمين الأميريكي المتدين تجاه الإسلام، إذ يقول "ديفد فروم" –وهو كاتب خطابات سابق في إدارة الرئيس بوش-في كتاب (الرجل المناسب... الرئاسة المفاجئة لجورج دبليو بوش 2003) أن قيادات اليمين الأمريكي المتدين الذين يمثلون أقوى القواعد الجماهيرية المساندة لبوش شعروا بغضب شديد تجاه موقف بوش من الإسلام والمسلمين في أعقاب أحداث سبتمبر/أيلول لأن بوش وصف الإسلام بأنه «دين سلام».

ولم يفوت قادة اليمين الفرصة للرد على تصريحات بوش إذ وجه عدد كبير منهم إساءات خطيرة للإسلام، فرفض فرانكلين غرام وصف الإسلام بأنه «دين مسالم»، ووصف جيري فالويل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه «إرهابي»، وقال بات روبرتسون إن الإرهابيين لا «يحرفون الإسلام!! إنهم يطبقون ما في الإسلام.[41]

وفي هذا الصدد نجد الدراسة التي أصدرها مركز الجزيرة للدراسات والأبحاث حول التفاعل بين الخطاب الإعلامي والخطاب السياسي ومدى تداخلهما في إعادة تركيب صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الأميركيين خلال عام 2015 وما أنتجه الخطاب السياسي السلبي لبعض مرشحي انتخابات الرئاسة الأميركية كان أبرزها خطاب المرشح الجمهوري «ترامب»، والذي امتازت تصريحاته بالعنصرية ضد الإسلام والمسلمين. ورصدت الدراسة الأبعاد السياسية والأيديولوجية التي وجهت الخطاب الذي قدَّمته ثلاث قنوات من وسائل الإعلام الأميركية الأكثر تأثيرا في تحديد المتخيل الأمريكي عن الإسلام والمسلمين، وهي قناة (سي إن إن CNN) و(فوكس نيوز Fox News) و(إم.إس.إن.بي.سيMSNBC)،والتي تتباين في خطِّها التحريري ومرجعيتها الفلسفية، التي جعلتها الدراسة (مستقلة، ومحافظة، وليبرالية).

بحيث خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج وأبرزها هي:

1. توصلت الدراسة في تحليل أسباب التحول من الصورة المرجعية إلى الصورة المتداولة للإسلام والمسلمين، إلى استنتاجات رئيسية حول النسق الراهن الذي يتحرَّك من خلاله الإعلام الأمريكي، والمتمثل في حركية صورة الإسلام والمسلمين التي تخضع للدوران، حيث تظل صورة الإسلام والمسلمين في المُتخيَّل الأمريكي رهينة بالتفاعل بين سرديات الاتهام والسرديات المعيارية والسرديات الوصفية.

2. التأكيد أن هذه الصورة تتأثَّر سلبًا وإيجابًا بمستوى تغيُّر الصورة الذهنية؛ التي يتبنَّاها الفرد الأمريكي تبعًا لمدى اقتناعه أو رفضه لما تُقدِّمه تلك القنوات، وفي ضوء هذا التنافس بدأ تقلُّص إعلام السرديات الوصفية المحايدة لصالح «إعلام الرأي والغزل السياس».

3. الإعلام الأميركي يمرُّ بمرحلة «انفصام بين شخصية المجتهد في البحث عن الأخبار العاجلة وكشف الأسرار المثيرة المرتبطة بزمنه الذهبي قبل بضعة عقود، وبين شخصية العارض لآراء وتحليلات محترفي «التحليل السياسي»، لتقديم قراءات للأحداث بما ينمُّ عن أهواء سياسية وأيديولوجية مبطَّنة في أغلب الحالات»، كما سجلت بأن المحللين يشغلون» حيِّزًا زمنيًّا على الهواء أطول من مدة التقارير الصحفية الميدانية، وأيضًا من وقت مقدِّمي البرامج الإخبارية».

4. النيل من سمعة المسلمين أصبح أحد «أسلحة المواجهة الذي يستخدمه اليمين في مواجهة اليسار؛ بداية بالمستوى الإعلامي، ومرورًا بالمستوى السياسي، ونهاية بالمستوى الثقافي»[42].

ومنه فإن هناك اتجاهًا متزيدًا نحو «تبرير النيل من سمعة الإسلام أو المسلمين أو العرب بضرورة حماية مبدأ حرية التعبير؛ ولو إزاء الأمور الحساسة ثقافيًّا، معتبرة أن هذا السياق، يطرح تحديات كبرى في طريق النشطاء والداعين إلى تصحيح صورة الإسلام، والدفاع عن خصوصيته على غرار بقية الأديان في الولايات المتحدة.[43]

تلك الحوادث وجد فيها بعض الساعين لتزكية الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة؛ مثل «دونالد ترامب»، ضالَّتهم لبلورة سرديات تتماشى مع حماسة اليمين المحافظ وجماعات المبشِّرين الذين صفقوا لاقتراحاته، ومنها منع المسلمين من دخول الولايات المتحدة، وأوضحت الدراسة أنه تم «دَمْغُ صورة الإسلام والمسلمين بألوان التطرُّف، والتعصُّب للعنف أيضًا، بالدعوة إلى إقصاء المسلمين الأمريكيين من السباق إلى البيت الأبيض في المستقبل».[44]

بالإضافة إلى بيان ترامب الذي يمنع فيه الهجرة الإسلامية إلى أمريكا ولم يوضح البيان ما إذا كان المسلمون الأمريكيون مستهدفون هم أيضا. قائلا: «استنادا إلى استطلاع للرأي في صفوف المسلمين الذين يعيشون في الولايات المتحدة، إن عددا كبيرا منهم يكن «الحقد» للأمريكيين.»وتابع ترامب في هذه البيان «من أين يأتي هذا الحقد ولماذا، يجب أن نحدد ذلك. وحتى نكون قادرين على تحديده وفهم هذه المشكلة والتهديد الخطير الذي يمثله، لا تستطيع بلادنا أن تبقى ضحية هجمات إرهابية من قبل بعض الناس الذين لا يؤمنون إلا بالجهاد وليس لهم أي احترام للحياة الإنسانية.»[45]

بحيث نجد أن «ترامب» من خلال ما تقدم يتناقض مع نفسه بحيث يخرج ويصرح من خلال وسائل الإعلام الأمريكية من جهة أن الإسلام والمسلمين يكنون الحقد للأمريكيين ومن جهة يصرح أن وسائل الإعلام الأمريكية كاذبة وتقدم أخبار ملفقة وليست لها أية مرجعية أو مصادر موثوقة. وما هذا إلا سياسة أمريكية تسعى إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين في أعين الشعب الأمريكي وفي العالم الغربي أجمع.

وفي سياق السياسة الأمريكية فقد كشف عالم الاجتماع اليهودي (ستيفن إيزاكس) عن الدور الصهيوني في توجيه السياسة الأمريكية في كاتبه «اليهود في السياسة الأمريكية» والذي توصل فيه إلى أن اليهود الأمريكيين يشكلون مراكز القوى على صعيد المال والاقتصاد والعلم، وأن تأثير ذلك قد انعكس على

مجالات حساسة كالإعلام والسياسة.كما أن اللوبي الصهيوني يمارس دورا ضاغطا وفعالا في الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية على السواء. ويتميز هذا النشاط ببعده عن الأضواء والعمل وراء الكواليس، وما ساعد اليهود على ممارسة أدوارهم الضاغطة في السياسة الأمريكية عنصران أساسيان: أولهما الجهل السياسي للأغلبية العظمى من أبناء الشعب الأمريكي، وثانيهما أن الجماعات الضاغطة الصهيونية وحدها التي تمتلك تزويد الشعب الأمريكي بالمعلومات التي ترغب فيها من خلال سيطرتها على الوسائل العلمية المختلفة وكذلك على الكراسي الدراسية في المدارس والجامعات.[46]

خلاصة:

في الأخير يمكن القول أن ظاهرة صناعة الصورة النمطية المشوهة للإسلام وللمسلمين في الإعلام الأمريكي ليست ظاهرة إعلامية محضة، وإنما هي أوسع من ذلك، هي ظاهرة ثقافية وقد اشتركت فيها وسائل متعددة منها الخطاب السياسي وبعض الأعمال الإستشراقية والسينمائية التي تحاول تشويه الحضارة الإسلامية، إضافة إلى منابر أخرى كلها ساهمت إلى حد كبير في صنع هذه الصورة وفي تداولها وانتشارها وترسيخها في الوجدان الغربي، وهذا في مقابل جهود إعلامية عربية وإسلامية محدودة، فنحن لا نزال لم نستفق بعد وندرك حقيقة ما يحدث وما يلقاه الإسلام والمسلمين من عنصرية وتشويه الذي يزداد باستمرار، لهذا يجب أن نعمل على إصلاح وتصحيح هذه الصورة من خلال محاولة تقديم الصورة الحقيقة للإسلام والمسلمين للعالم.

الهوامش:

1. عبد الرحمن شقير: الصورة الذهنية، من الموقع الإلكتروني http://www.almarefh.net تاريخ الإسترجاع:2016/11/18 على الساعة 13:10.

2. أحمد بن راشد بن سعيد: قولبة الآخر (قصة التشويه الحضاري والإغتيال الإعلامي للمسلم والعرب، أبو ظبي، 2001، ص19. نقلا عن Dennis David: Mass Communication and Every Life, new York, 1982.

3.يامين بودهان: تشكيل الصور النمطية عن الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، مجلة الوسيط للدراسات الإعلامية العدد 12، 2006، الجزائر، ص04.

4. برهان شادي: مدخل في الاتصال الجماهيري ونظرياته، عمان، 2003، ص 16.

5. ماكس ماكومز، لانس هولبرت، سبيرو كيوسيس، واين وانتا: الأخبار والرأي العام تأثير الإعلام على الحياة المدنية، ترجمة محمد صفوت حسن أحمد، دار الدار الجزائرية للنشر والطبع والتوزيع، الجزائر، 2012، ص8

6.علي بن ابراهيم النملة: صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الإستشراق في افتعالها، دار الفكر، دمشف، 2008، ص126.

7. معتز الخطيب: ظاهرة كراهية الإسلام الجذور والحلول، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مجلد 5، العدد17، 2008، ص 51.

8. إدوارد سعيد: الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة، ط1، 2008، ص ص 436-438.

9.يامين بودهان: مرجع سبق ذكره، ص9.

10.إدوارد سعيد: الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، مرجع سابق، ص438-439.

11. دييتر سنغاس: الصدام داخل الحضارات التفاهم بشأن الصراعات الثقافية، ترجمة شوقي جلال،دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2008، ص202.203.

12. علي بن ابراهيم النملة: مرجع سبق ذكره، ص125.

13. محمد علي صالح: لماذا يخاف الامريكيون من الاسلام؟،من الموقع www.soudaneonline.com، استرجع يوم 2016/11/15 على الساعة 13:57.

14. علي بن ابراهيم النملة: مرجع سبق ذكره، ص127

15. نفس المرجع، ص128.

16.مازن مطباقي: الصورة النمطية للعرب والمسلمين ومواجهتها من خلال الأنترنت. قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية بجامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، ص8

17. مشري مرسي: جدلية العلاقة بين الإسلاموفوبيا وحوار الحضارات، كلية العلوم القانونية والإدارية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، 2010، ص5.

18.محمد علي الخالدي: إنسان بأصوات متعددة، من الموقع الالكتروني: http : //www.mafboum.com

19. علي بن ابراهيم النملة: مرجع سبق ذكره، ص 118.

20. المرجع نفسه، ص ص 120، 121.

21. يوسف موسى علي عبد الله أبو أليكة، عبد الرحمن محمود، مهد نصير عمر، إدريس زكرياء: الهدف الديني للاستشراق من دراسة التراث الإسلامي من وجهة نظر محمد البهي ومحمد ياسين عريبي، الجريدة العالمية للفكر الإسلامي، جوان 2012، ص94، 95

22. مرسي مشري: مرجع سبق ذكره، ص4.

23. ديتر سنغاس: مرجع سبق ذكره، ص12.

24. علي بن ابراهيم النملة: مرجع سبق ذكره، ص 122.

25. عادل القاضي: إقبال الغرب على الإسلام رغم تشويه داعش وهجمات سبتمبر وباريس،من الموقع الإلكتروني http://altagreer.com استرجع في 2016/11/22 ، 15:15.

26. ويليام ج. ليدرر: أمة من الغنم في السياسة الخارجية الأمركية والتعتيم الإعلامي وحجب الحقائق عن الشعب، ترجمة عدنان شوكت شومان، مركز الراية للتنمية الفكرية، جدة، ط1، 2003، ص10.

27. محمد البشاري: مرجع سبق ذكره.

28. عبد القادر طاش: أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، كتاب المختار، ص22، من الموقع الالكتروني http://archive.org تاريخ التحميل 2016/11/15.

29. http://www.masralarabia.com , consulter le 07/05/2017 à 15 :04

30. https://www.youm7.com/story consulter le 07/5/2017 à 15:04.

31.حسن عزوزي: الجاليات الإسلامية في الغرب والتحدي الإعلامي، من الموقع www.muslimworldleague.org استرجع في 2016/10/31 14:52.

32. إدوارد سعيد: تغطية الإسلام كيف تتحكم أجهزة الإعلام ويتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم، ترجمة محمد عناني،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005. ص 39.

33.آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام استعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، ترجمة مازن مطبقاني، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2013، ص132.

34. عبد القادر طاش: أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، مرجع سبق ذكره، ص21.

35. الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع، من الموقع الالكتروني: http://islammemo.cc تاريخ الاسترجاع: 2016/11/22 على الساعة:16:09.

36. جاك شاهين: أسباب تشويه صورة العرب ، من الموقع الالكتروني:http://www.aljazeera.net تاريخ الاسترجاع:2016/11/22 على الساعة 13:55.

37. إدوارد سعيد: الإستشراق، مرجع سبق ذكره، ص 438.439.

38. Jach G.Shaheen : Reel Bad Arabs (How Hollywood Vilifies a Peaple, The ANNALS of the American Academy Of Political and Social Science, 2003, P176. The online version of this article can be found at : http://ann.sagepub.com

39. ابراهيم الباش: قراءة في كتاب صورة الإسلام في الإعلام الغربي لمحمد بشاري، من الموقع الالكتروني http://alqudslana.com تاريخ الاسترجاع: 2016/11/23 على الساعة: 16:55.

40. ويليام ج. ليدرر: مرجع سبق ذكره، ص18

41.http://www.eljazeera.net

42.عبد الله التيجاني: كيف يصنع الإعلام الأمركي صورة قدحية عن الإسلام والمسلمين، http://www.jadidpresse.com، تاريخ الاسترجاع:2016/11/14 على الساعة: 20:40.

43. عبد الله التيجاني: مرجع سبق ذكره.

44. بلال حداد: عيون أمريكا على داعش http://www.elkhabar.co، تاريخ الاسترجاع 2016/11/21 على الساعة: 14:20.

45.دونالد ترامب يدعو إلى منع المسلمين من دخول الولايات المتحدة من الموقع الالكتروني: http://www.france24.com تاريخ الاسترجاع:2016/11/22، 17:55.

46. عبد القادر طاش: أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسالمي، مرجع سبق ذكره، ص19. 20